"كان وأخواتها"

تدخُلُ (كان) وأخواتُها على الجُملةِ الاسميَّة؛ فترفَعُ المُبتَدَأَ ويُسمَّى اسمَها، وتنصِبُ الخَبَرَ ويُسمَّى خَبَرها؛ فالجملةُ: السَّماءُ صافيةٌ، مكوَّنةٌ من مُبتَدَأٍ وخَبَر، فإذا دخلت عليها (كان) غيَّرت إعرابَها، فتَقولُ: كانت السماءُ صافيةً، (السَّماءُ) اسمُ (كان)، و(صافيةً) خَبَر (كان).

وهي ثلاثةَ عَشَرَ فِعلًا: (كان، وأمسى، وأصبح، وأضحى، وظَلَّ، وبات، وصار، وليس، وما زال، وما فَتِئَ، وما انفَكَّ، وما بَرِحَ، وما دام).

وتُسمَّى أفعالًا ناقصةً لعَدَمِ اكتفائِها بالمرفوع، واحتياجِها للمنصوبِ. وإنما لم تكتفِ بالمرفوع؛ لأنَّ حدَثَها مقصودٌ إسنادُه إلى النسبةِ التي بين مَعْموليها (اسمِها وخَبَرِها)؛ فمعنى قولك: (كان زيدٌ عالِمًا): وُجد اتصافُ زَيدٍ بالعِلمِ، والاقتصارُ على المرفوع غيرُ وافٍ بذلك؛ فلهذا لم يُسْتغْنَ به عن الخَبَر التَّالي، وكان الفِعْل جديرًا بأن يُنسَبَ إلى النُّقصانِ، كما أنَّها تُسمَّى ناقصةً لاقتصارِها في الدَّلالةِ على الزَّمنِ، في حينَ أنَّ كلَّ الأفعالِ تدُلُّ على الحدَثِ والزَّمنِ.

وتُسمَّى أفعالًا ناسخةً؛ لأنَّها تدخُلُ على الجملةِ الاسميَّةِ، فترفَعُ المُبتَدَأَ ويُسمَّى اسمَها، وتنصِبُ الخَبَر، ويُسمَّى خَبَرها.

معاني (كان) الناقصة وأخواتها

معنى (كان): اتِّصافُ اسمِها بمعنى خَبَرِها اتصافًا مجرَّدًا، مِثلُ: كان زَيدٌ كريمًا، وقد تُستعمَلُ بمعنى (صار)، مِثلُ: احترق الخشَبُ؛ فكان تُرابًا، أي: صار.

ومعنى (ظَلَّ): اتصاف المُخبَر عنه بالخَبَر نهارًا، وقد تُستَعمل بمعنى (صار)، مِثلُ: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ" [النحل: ٥٨]، أي: صار وجْهُه...

ومعنى (بات): اتصافُ المخبَر عنه بالخَبَر ليلًا.

ومعنى (أضحى): اتصافُ المخبَر عنه بالخَبَر في الضُّحى، وتُستعمل كثيرًا بمعنى (صار)، مِثلُ: أضْحَت الحياةُ صعبةً عمَّا قبلُ، أي: صارت.

ومعنى (أصبح): اتصافُ المخبَر عنه بالخَبَر في الصَّباح، وتُستعمَلُ كثيرًا بمعنى (صار)، مِثلُ: أصبحت الأخلاقُ عُملةً نادرةً، أي: صارت.

ومعنى (أمسى): اتصافُ المخبَر عنه بالخَبَر في المساءِ، وتُستعمَلُ بمعنى (صار)، مِثْلُ: اقتحم العلمُ الفضاءَ المجهولَ، فأمسى معلومًا، أي: صار.

ومعنى (صار): التحوُّلُ من صفةٍ إلى صفةٍ أخرى.

ومعنى (ليس): نفيُ اتصافِ اسمِها بمعنى خَبَرِها، وهي عند الإطلاق لنفيِ الحالِ، نَحوُ: ليس زيد قائمًا، أي: الآن، وعند التقييدِ بزَمَنٍ على حَسَبِه، نَحوُ: ليس زيدٌ ذاهبًا غدًا، وقد تأتي ويكونُ المرادُ منها نَفيَ الحُكمِ نفيًا مجرَّدًا من الزَّمَنِ؛ كقَولِ العَرَبِ: ليس لكذوبٍ مُروءةٌ، ولا لحَسودٍ راحةٌ، أي: في كُلِّ زمانٍ.

ومعنى (زال، وفَتِئَ، وانفَكَّ، وبَرِح): ملازمةُ الخبَرِ المخْبَرَ عنه على حَسَبِ ما يقتضيه الحالُ، نحو: ما زال زَيدٌ ضاحِكًا، وما زال عمرٌو أزْرَقَ العينَينِ.

ومعنى (دام): بَقِيَ واستمَرَّ.

أقسامُ (كان) وأخواتِها من حيثُ شرُوط العَمَلِ

تنقَسِمُ (كان) وأخواتُها من حيثُ شُروط عَمَلِها إلى:

١ ـ أفعالٌ ترفع المُبتَدَأَ وتنصِبُ الخَبَر بلا شَرطٍ، وهي: (كان، وأمسى، وأصبح، وأضحى، وظَلَّ، وبات، وصار، وليس).

٢ ـ أفعالٌ ترفَعُ المُبتَدَأَ وتنصِبُ الخَبَر بشَرطِ أن يتقَدَّمَ عليها نفْيٌ، أو شِبهُ النَّفيِ، وهو النَّهيُ أو الدُّعاءُ، وهي: (زال، وبَرِح، وفَتِئَ، وانفَكَّ).

فتقولُ في النفيِ: ما انفكَّ محمدٌ عاملًا، وما بَرِح محمدٌ عاملًا؛ ف(محمد) في المثالين: اسمٌ للفِعلِ النَّاسِخ مَرفوعٌ، وعَلامةُ رَفعِه الضَّمَّةُ الظَّاهِرةُ، و(عاملًا) خَبَر النَّاسِخ منصوبٌ، وعَلامةُ نَصبِه الفَتحةُ الظَّاهِرةُ.

وقد يُغني معنى النَّفيِ عن ذِكرِه، كقَولِه تعالى: "قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ" [يوسف: ٨٥]؛ فإن المعنى واضحٌ في أنَّ المرادَ: «لا تفتَأُ»، ولا يُحذَف النَّافي معها إلَّا بعد القسَم كالآيةِ الكريمةِ.

وتقولُ في النهي: لا تَزَلْ عاملًا حتى يدقَّ الجرَسُ، ولا تنفكُّوا عاملين حتى موعِدِ الغَداءِ: فاسمُ (تَزَلْ) في الموضِعِ الأوَّلِ ضَميرٌ مُستَتِرٌ وجوبًا تقديرُه: أنتَ، وفي المثالِ الثَّاني اسمُ (تنفَكُّ): ضميرُ الجماعةِ (الواو)، و(عاملًا)، و(عاملين) خَبَرَا الفِعلين منصوبانِ.

ومنه قَولُ الشَّاعِرِ:

صَاحِ شَمِّرْ وَلَا تَزَلْ ذَاكِرَ الْمَوْ ... تِ فَنِسْيَانُهُ ضَلَالٌ مُبِينْ

فاسمُ (تَزَلْ) ضَميرٌ مُستَتِرٌ وجوبًا تقديرُه: أنت، ذاكِرَ: خَبَر (تَزَل) منصوبٌ، وعَلامةُ نَصبِه الفَتحةُ الظَّاهِرةُ.

وفي الدُّعاءِ: لا زال اللهُ ناصِرَك: "الله" اسمُ (زال) مَرفوعٌ، وعَلامةُ رَفعِه الضَّمَّة، ناصِرَ: خَبَر (زال) منصوبٌ، وعَلامةُ نَصبِه الفَتحةُ الظَّاهِرةُ، والكافُ: ضميرٌ مَبْنيٌّ في مَحلِّ جَرٍّ مُضافٌ إليه.

٣ ـ فِعلٌ يرفَعُ المُبتَدَأَ وينصِبُ الخَبَر بشَرطِ أن يَتقدَّم عليه (ما) المصدريَّةُ الظرفيَّةُ، وهو (دام).

تَقولُ: يغفِرُ اللهُ للمَرءِ ما دام مُستغفِرًا؛ فاسمُ (دام) هنا ضَميرٌ مُستَتِرٌ جوازًا تقديرُه: هو، راجِعٌ إلى المرءِ. مستغفرًا: خَبَر دام منصوبٌ، وعَلامةُ نَصبِه الفَتحةُ الظَّاهِرةُ.

ومنه قَولُه تعالى: "وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا" [مريم: ٣١]، ف(ما) هنا مصدريَّةٌ نائبةٌ عن ظَرفِ الزَّمانِ، والتاءُ في (دمتُ): ضميرٌ مُتَّصِلٌ مَبْنيٌّ على الضَّمِّ في مَحَلِّ رَفع اسمُ (دام)، حيًّا: خَبَر دام منصوبٌ، وعَلامةُ نَصبِه الفَتحةُ الظَّاهِرةُ، والتقديرُ: مُدَّةَ دوامي حَيًّا.

أقسامُ (كان) وأخواتِها من حيث التصَرُّف والجمود

تنقَسِمُ (كان) وأخواتُها من حيثُ التصَرُّف والجمود إلى:

١ ــ أفعالٍ كاملةِ التصَرُّفِ:

أي: يأتي منها المضارِعُ والماضي والأمرُ والمصدَرُ، وهي: (كَانَ وَأمسى وَأصْبح وأضحى وظَلَّ وَبَات وَصَارَ).

فيُستعمَلُ في "كان" (يكون، كُن، كائن، كَوْن)؛ فتَقولُ: كان محمدٌ ناجحًا، يكونُ محمدٌ ناجحًا، كُنْ مجتَهِدًا تنجَحْ، محمَّدٌ كائنٌ أخاك، أعجبني كونُك ناجحًا.

كذلك في "أمسى": (أمسى، يُمسي، أَمْسِ، مُمْسٍ، إمساءً)؛ تَقولُ: أمسى الولدُ مَحْمومًا، يمسي الولدُ مَحْمومًا في الصَّيفِ، أَمْسُوا مجتَهِدين؛ فالامتحانُ غَدًا، الولدٌ مُمْسٍ مَحْمومًا، يَحزُنُني إمساؤُك مَريضًا.

وعلى هذا باقي الأفعالِ.

٢ ـ أفعالٌ ناقِصةُ التصَرُّفِ:

أي: يأتي منها الماضي والمضارعُ واسمُ الفاعِلِ، ولا يأتي منها الأمرُ والمصدَرُ، وهي: (مَا زَالَ، مَا فَتِئَ، مَا انْفَكَّ، مَا بَرِح).

تَقولُ: ما زال النَّهارُ طويلًا، ما يزالُ النَّهارُ طويلًا، ما كان زيدٌ إلَّا زائلًا ضاحِكًا.

وتَقولُ: ما انفَكَّ الطالبُ يذاكِرُ، لا ينفَكُّ الرَّضيعُ باكيًا، ما أصبح بِشْرٌ إلَّا منفكًّا مُنطَلِقًا.

٣ ـ أفعالٌ جامِدةٌ:

أي: لا تتغَيَّرُ عن صيغةِ الماضي، وهي: (لَيْسَ)، و(مَا دَامَ).

أقسامُ (كان) وأخواتِها من حيثُ النُّقصان والتَّمام

الفِعْلُ النَّاقِصُ: هو الذي لا يَستغني عن الخَبَر، أو الذي لم يَكتَفِ بمَرفوعِه، والتامُّ عَكْسُه

ويُشترَطُ في (كان) وأخواتِها التي ترفَعُ المُبتَدَأَ وتنصِبُ الخَبَر أن تكونَ ناقصةً، فإذا كانت تامَّةً فإنَّ المرفوعَ بَعْدَها يكونُ فاعِلَها وليس اسمَها.

وتنقَسِمُ (كان) وأخواتُها من حيثُ التَّمام والنُّقصان إلى قِسمَينِ:

١ -أفعالٌ لا تأتي إلَّا ناقِصةً، وهي: (ليْسَ، فَتِئَ، زالَ).

٢ -أفعالٌ تأتي تامةً وتأتي ناقِصةً، وهي: (كَانَ، وَأمسى، وَأصْبح، وأضحى، وظَلَّ، وَبَات، وَصَارَ، وَمَا انْفَكَّ، وَمَا برح، وَمَا دَامَ).

وقد سبق معنى (كان) الناقصةِ وأخواتِها، وإليك معانيَ (كان) وأخواتِها إذا كانت تامَّةً:

من قواعد النحو

لِسَانًا عَرَبِيًّا

(كان) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى حَدَث ووُجِد.

(أمسى) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى دخل في وقتِ المساءِ.

(أصْبح) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى دخل في وقتِ الصَّباحِ.

(أضحى) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى دخل في وقتِ الضُّحى.

(ظل) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى دام وطال واستمَرَّ.

(بَات) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى أَقامَ لَيْلًا ونزلَ به، ومنه: بات الطَّائِرُ، أي: نزل ليقضِيَ اللَّيلَ في بعضِ الأمكنةِ.

(صَارَ) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى انتقل، وبمعنى رجَع.

(انْفَكَّ) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى انفَصَل.

(برح) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى ذَهَبَ.

(مَا دَامَ) التَّامَّةُ تكونُ بمعنى بَقِيَ.

أمثلةُ الأفعالِ التَّامَّةِ:

(كان)، مِثْلُ قَولِه تعالى: "وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ" [البقرة: ٢٨٠]

«الواو» استئنافيَّةٌ، و «إن» شرطيَّةٌ، و«كان» فِعلٌ ماضٍ تامٌّ بمعنى: حَدث ووُجد، أي: وإنْ وُجِد ذو عُسرةٍ، و «ذو» فاعِلُها، وعَلامةُ رَفعِه الواوُ؛ لأنَّه من الأسماءِ السِّتَّةِ، و «عُسْرة» مُضافٌ إليه.

(أصبح)، (أمسى)، مِثْلُ قَولِه تعالى: "فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ"

«تُمسُون» فِعلٌ مُضارعٌ مرفوعٌ، ومعناه: تدخلونَ في المساءِ، و«الواو» ضميرٌ مَبْنيٌّ في مَحَلِّ رَفع فاعِلٌ، وكذلك تُصبِحون.

(أضحى)، نحْو قولك: (أضحى النائمُ)، أي: دخل في وقتِ الضُّحى.

بشاير زين

من قواعد النحو

لِسَانًا عَرَبِيًّا

أضحى: فِعلٌ ماضٍ مَبْنيٌّ على الفَتح المقدَّر للتعذُّرِ، النائمُ: فاعِلٌ مَرفوعٌ، وعَلامةُ رَفعِه الضَّمَّةُ الظَّاهِرةُ.

(ظَلَّ)، نحْو: لو ظلَّت حروبُ الجاهليَّةِ لَفَنِيَت العَرَبُ.

«حروبُ» فاعِلُ «ظَلَّت» مَرفوعٌ، وعَلامةُ رَفعِه الضَّمَّةُ الظَّاهِرةُ.

(بَات)، نحوُ قَولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إذا استيقظ أحَدُكم من نومِه فلْيَغسِلْ يدَه قبل أن يُدخِلَها في وَضوئِه؛ فإنَّ أحَدَكم لا يدري أين باتت يَدُه»

«بات» فِعلٌ ماضٍ، و «التاءُ» حرفُ تأنيثٍ، و «يَدُه» فاعِلٌ مَرفوعٌ، وعَلامةُ رَفعِه الضَّمَّةُ الظَّاهِرةُ.

(صَار)، مِثلُ قَولِه تعالى: "أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ" [الشورى: ٥٣]

«تصير» فِعلٌ مُضارعٌ، و «الأمورُ» فاعِلٌ، والمرادُ بالصَّيرورةِ هنا الدَّيمومةَ.

(انْفَكَّ)، نَحوُ: انفكَّت العُقَدُ.

(العُقَدُ): فاعِلُ (انفَكَّ) مَرفوعٌ، وعَلامةُ رَفعِه الضَّمَّةُ الظَّاهِرةُ.

(بَرِح)، نَحوُ: لن أبرَحَ الوَطَنَ أبدًا.

فاعِلُ «أبرح» ضَميرٌ مُستَتِرٌ وجوبًا تقديرُه: أنا.

(دَامَ)، نَحوُ: لو دام العَدلُ لانتشرت السَّعادةُ.

«العَدْلُ» فاعِلُ «دام» مَرفوعٌ، وعَلامةُ رَفعِه الضَّمَّة. كما يجوزُ أن تأتيَ مع (ما) المصدريَّةِ الظَّرفيَّةِ، وتكونُ تامَّةً متضمِّنةً معنى (بَقِيَ)، كقَولِه تعالى: "خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ" [هود]

المرجع
الدرر السنية "موسوعة اللغة العربية"

بشاير زين